الإناث الأكثر تعرضا للمرض

يتحدث معها بكل رقة ومحبة كأنهما عصفوران اعتنقا الحب الصافي ،شابّان في مقتبل العمر، حبسا على أريكة يتناجيان في مركز الأورام السرطانية ،فقلت لنفسي لابد من إن احدهما مصاب بذلك المرض الخبيث..فصدق تصوري.. الشاب هو المصاب بالسرطان. سلمت عليهما وأخبرتهما بعملي، فقالت لي الشابة وهي خريجة جامعية" تسلم زوجي وظيفته الجديدة قبل أيام، لكن هذا المرض الملعون منعه مواصلة عمله"، وطلبت ان نتحدث عنه(المرض) إلى أن يقوم احد بمكافحته حتى لا يفتك بشبابنا الواحد تلو الاخر.

السرطان في البصرة

٧٠ إصابة لكل ١٠٠ الف شخص.. والعلاج يحتاج إلى ١٠ مليارات دينار

البصرة/ عبد البطاط

مجلس السرطان العراقي

لملمت أوراقي ودخلت إلى غرفة مدير المركز الدكتور (جواد العلي) عضو مجلس السرطان العراقي والاختصاصي بالأمراض الباطنية والأورام في البصرة.

يشير الطبيب الى انه مرض يحدث نتيجة انقسام وتكاثر خلايا الجسم بشكل غير منضبط وبدون فائدة، ينتج عن هذا التكاثر تورم يمكن أن يكون حميدا أو خبيثا ، ويتميز النوع الخبيث بقدرته على تدمير الأنسجة التي ينشأ فيها والأنسجة المجاورة والانتقال إلى مواضع بعيدة في الجسم عن طريق الدم والأوعية الدموية واللمفاوية.

وعن الدراسات والأبحاث حول السرطان في البصرة، يؤكد العلي إجراء مجموعة من الدراسات والأبحاث حول المرض من قبل باحثين عدة، ولعل أهمها البحث الشامل الذي يقوم به فريق من الأطباء والمختصين الآخرين في المحافظة منذ ثلاث سنوات ويهدف إلى تحديد حجم مشكلة السرطان في البصرة وفي جنوب العراق والأنماط الزمانية والمكانية له، ومحاولة تفسير التغيرات أن وجدت. لافتا الى ان النتائج الأولية لهذا العمل تشير إلى أن السرطان يمثل مشكلة أساسية في البصرة من حيث عدد الإصابات و الوفيات الناتجه عنه.

وتشير النتائج الأولية لهذا البحث إلى أن انواع معينة من السرطانات قد ازداد عدد المصابين بها خلال الفترة الاخيرة،وبشكل واضح،مثل سرطان الثدي وسرطان الدم والغدد اللمفاوية والجهاز العصبي وسرطان الرئة وغيرها ، أما الأسباب وراء هذه الزيادة فليست معروفة بدقة ولكن يمكن أن تكون انعكاسا للتدهور البيئي الشامل الذي أصاب المنطقة نتيجة الحروب والحصار وسوء التغذية بما في ذلك التعرض لمخلفات الحرب كالإشعاع.

ويضيف الدكتور العلي هناك دلائل علمية على مستوى العالم تؤكد أن الإشعاع "المتأين" ومنه الإشعاع الذي ينتج عن اليورانيوم المنضب يسبب السرطان والعوق الولادي ولذلك لا يمكن نفي وجود دور لهذا الإشعاع في الزيادة الحاصلة في البصرة.

موضحا ان في المدينة السرطان يختلف حسب نتائج المقارنة التي قمنا بها، حيث اتضح لنا على ضوء البيانات المتاحة أن نسبة الإصابة بالسرطان في الذكور من أهل البصرة تقترب من مثيلاتها في بقية أنحاء العراق والدول المجاورة، أما الإصابات في الإناث فإنها أعلى من أي منطقة مجاورة للعراق، فهي أعلى من الإصابات في بقية أنحاء العراق والبحرين والكويت والأردن وتركيا وإيران ،كذلك توجد لدينا أدلة على زيادة نسب وفيات السرطان في جنوب العراق خلال العشرين سنة الماضية.

فرص الشفاء من المرض

بالمقابل يشير الدكتور كريم عبد السادة مسؤول مركز السيطرة على السرطان في البصرة الى أهم أسباب الإصابة بهذا المرض، هو التدخين، ويعدد مسببا رئيسيا لسرطان الرئة والقصبات،و المواد الكيماوية مثل النفثالين والخارصين وقطران وغيرها، المبيدات سواء كانت مبيدات غير عضوية أو نباتية، بالاضافة الى العدوى كعدوى الفايروسات التي تصيب الكبد والجراثيم والطفيليات (البلهارزيا)والفطريات،والتعرض للإشعاع "المتأين" وله علاقة بسرطان الدم والثدي والرئة والغدة الدرقية والعظام والدماغ، كما ان الأدوية كموانع الحمل والأدوية المستخدمة في علاج السرطان هي مسبب اخر للمرض ، والأشعة فوق البنفسجية ولها علاقة بسرطان الجلد، والاستعداد الوراثي وما له من دور في بعض السرطانات كسرطان البروستات وسرطان الثدي، فضلا عن احتساء الكحول ،والنمط الغذائي غير السليم،كذلك فرط الوزن واستهلاك لحوم وشحوم الحيوانات بكثرة.

وعن فرص الشفاء من السرطان، يشدد عبدالزهرة على ان السرطان كأي مرض آخر يمكن الشفاء منه شفاء تاماً أو جزئياً عن طريق العلاج، كذلك يمكن أن يعود بعد الشفاء نتيجة عدم موت كل الخلايا السرطانية في الورم الأصلي. موضحا "يعتمد نجاح العلاج على نوع السرطان والمرحلة التي يشخص فيها وفاعلية العلاج المتاح والدقة التي يطبق فيها والالتزام بمتطلباته من قبل المريض والمعالج".

وتختلف نسبة من يبقون على قيد الحياة بعد الإصابة بالسرطان بين سرطان وآخر وبين بلد وآخر..فمثلا قد تصل نسبة الشفاء لابيضاض الدم (اللوكيميا) إلى ٩٠٪ في بعض المراكز العالمية المتطورة وقد لا تتجاوز٢٠٪ في بعض مراكز الدول النامية بينما نجد أن نسبة الشفاء أو البقاء على قيد الحياة عالية نسبياً بين المصابات بسرطان الثدي ،ومما يعرقل شفاء المرض هو انتقاله إلى أجزاء الجسم الأخرى.

ومن جانب اخر يشير عدد من المرضى الى إن العلاجات الخاصة بامراض السرطان قليلة وغير متوفرة، فيما عزا عضو مجلس السرطان العراقي عدم كفاية العلاج في البصرة لهذا المرض الى انه ناجم عن عدم التوافق بين المستلزمات المتاحة والحاجة المطلوبة !! بمعنى العلاج المتوفر لا يكفي عدد المصابين الموجودين ولا سيما أن مراكز البصرة العلاجية تجتذب مرضى من خارج المحافظة وخاصة من محافظة ذي قار وميسان لعدم وجود مراكز علاجية في هذه المحافظات، فمثلا في عام ٢٠٠٦ من بين ٢٢٦٧ حالة سرطان شخصت أو عولجت في البصرة كان فيها ٨٢٧ من خارج المحافظة أي من محافظات أخرى أما نسبة البصرة فكانت ١٤٤٠ إصابة سرطان.

الوقاية مستحيلة

وعن الوقاية من مرض السرطان شدد الدكتور (عمران سكر حبيب) أستاذ الوبائيات والرعاية الصحية في كلية الطب بالبصرة على ضرورة تجنب التعرض للملوثات الاشعاعية في البيئة العامة وفي بيئة العمل من.

ورغم أن الإشعاع يشكل خطراً صحياً فأن الوقاية الكاملة منه تبدو مستحيلة لكون الإشعاع موجودا في البيئة الطبيعية وفي أجسامنا وفي بعض المصادر من صنع الإنسان إلا انه من الممكن تقليل تأثيره على الإنسان ببعض الإجراءات ،وهذه إجراءات قد لا يستطيع الفرد القيام بها وإنما تتطلب تدخلا حكومياً أو مؤسساتياً.

ويؤكد الدكتور حبيب ان الابتعاد حيثما يكون ذلك ممكناً عن المناطق التي تتواجد فيها مصادر الإشعاع يكون من الاجراءات الوقائية المهمة،كما يجب تقليل التواجد في المناطق التي توجد فيها مصادر الإشعاع إلى اقل ما يمكن، واستخدام الحواجز أو الجدران العازلة كالجدران الكونكريتية المبطنة بالرصاص كما هو متبع في غرف استخدام الأجهزة المحددة كأجهزة الأشعة السينية وما يماثلها أو الغرف التي تستخدم لخزن المواد المشعة،كما يجب وضع المواد المشعة أو الملوثة بما في ذلك المواد المستخدمة في الفحوصات الطبية كالنظائر المشعة في أماكن بعيدة عن النشاط البشري وفي اصغر مساحة ممكنة أو في حافظات ،كذلك تعمل المفاعلات النووية عادة في مبانٍ عازلة ومحكمة بحيث تحول دون تسرب المواد المشعة إلى خارج المفاعل وتعرض البيئة لها. مشددا على اهمية ممارسة الرياضة، بأي مقدار ممكن لاسيما أن ممارسة الرياضة تقلل من احتمال الإصابة بسرطان القولون والثدي والرئة،و التلقيح ضد فيروسات الالتهاب الكبدي نوع ب ونوع ج. والابتعاد قدر المستطاع عن التعرض للمبيدات بكافة أنواعها وعدم استعمالها إلا وفق الشروط الصحية الأمينة،و المساهمة الجدية في برامج التحري عن السرطان في مراحله الأولى، مؤكدا أن الكشف المبكر عن الكثير من السرطانات ربما يجعل العلاج أكثر يسراً وأكثر فعالية في الشفاء وتقليل المضاعفات.

وأوضح أن نسبة الإصابات المسجلة في البصرة هي ٧٠ إصابة لكل ١٠٠ ألف مواطن في السنة، ونحن نعتقد أن هذا الرقم اقل من الرقم الحقيقي ، ولكنها ليست درجة كبيرة. مؤكدا إن نسبة الإصابة الحالية اكبر من النسب السابقة قبل عشر سنوات بمعايير الإصابات والوفيات.

واضاف " ان التقديرات غير صحيحة، فإذا كانت النسبة (٧٠) إصابة لكل ١٠٠ ألف فرد، فان عدد الإصابات في عام ١٩٩٥بلغت (٨٠٠) أصابه ولكن في عام ٢٠٠٥كانت الإصابات أكثر من (١٦٠٠) أصابه". وخمن الدكتور حبيب أن نسبة الزيادة تتراوح بين ٥٠٪ إلى ١٠٠٪ من ضمنها سرطان الدم وسرطان الثدي وسرطان الغدد اللمفاوية. واستدرك قائلا : لكن لا يستطيع احد الجزم في أسباب تلك الزيادات بالمؤشرات الميدانية ،ويمكن أن يكون التلوث البيئي بمفهومه الشامل الإشعاعي والكيمياوي والمادي وسلوك الإنسان..كالتدخين والغذاء وغيره هي من أسباب تلك الزيادات.

■ باحث في مجال البيئة: ١٠٠ موقع ملوث بالإشعاع في البصرة!

■ مجلس المحافظة: ثلاثة آلاف إصابة.. والجرعة الدوائية لكل شخص تكلف ٢٥٠٠ دولار

■ ارتفاع نسبة التشوهات الخلقية بسبب تأثير الاشعاعات

المخلفات العسكرية

يشار الى ان اخاجاك وارتا نيان الباحث في مجال التلوث البيئي وجد أن التلوث الإشعاعي عامل مهم في زيادة الإصابات بالإمراض السرطانية ،وان المشكلة بدأت عام ١٩٩١ باستخدام قوات التحالف نخائر مصنعة من اليورانيوم المنضب في قصف المواقع والآليات العسكرية العراقية. مشددا على أن اليورانيوم يعتبر من المواد الخطرة جدا على حياة الإنسان ،وان نصف فترة إشعاعاتها تستمر إلى مابين أربعة إلى خمسة بلايين سنة ،ولها قابلية الانحلال والتفاعل مع المواد الأخرى وتضر بالإنسان من خلال ملامسة الأجزاء وكشف وارتا نيان إن تأثير المواقع الملوثة بإشعاعات اليورانيوم المنضب لا يقتصر على ارتفاع الإصابة بالأمراض السرطانية فقط ، وإنما كان له التأثير الواضح في ارتفاع نسبة التشوهات الخلقية عند حديثي الولادة. وأضاف خلال حرب غزو العراق عام ٢٠٠٣ تكرر استخدام هذه الذخائر ضد أهداف عسكرية كانت موجودة داخل المدينة ،ما تسبب في حدوث مواقع ملوثة بإشعاعات اليورانيوم المنضب قرب المناطق والأحياء السكنية في مدينة البصرة.

وفي ما يتعلق بعدد المواقع الملوثة في محافظة البصرة اكد وارتا نيان أن عدد المواقع الملوثة ، أو التي تعرف بالمواقع المشعة حددت بـ١٠٠ موقع في محافظة البصرة حتى عام ٢٠٠٤. كاشفا ان في نيسان من العام نفسه (٢٠٠٤) صدر قرار يجيز بيع نفايات الحديد المتروك في ساحات المعارك ،ما أدى إلى قيام التجار والمواطنين بجمع وتقطيع الآليات العسكرية المدمرة في مختلف مناطق البصرة وخاصة في المناطق الشعبية ، وهو ما أدى إلى زيادة نسبة الإمراض الناتجة عن هذه الإشعاعات هناك.

وأشار إلى أن عدد المناطق المشعة بدأت بالتزايد من خلال عمليات نقل أجزاء وقطع الآليات العسكرية الملوثة من مكان إلى آخر عن طريق بيع وشراء هذه المواد باعتبارها كسراب حديد يمكن الاستفادة منها.وعن أكثر المناطق في البصرة تأثرا بمثل هذا النوع من التلوث قال وارتانيال أظهرت الدراسات التي أجريناها أن اغلب المصابين بالإمراض الناجمة عن التلوث الإشعاعي يسكنون مناطق قريبة من مواقع التلوث لاسيما في (قضاء الزبير وأبي الخصيب والقرنة والإحياء الشعبية في مركز المحافظة).لافتا أن هذه المناطق تحتوي على المواقع التي تعرضت إلى قصف بذخائر مصنعة من اليورانيوم ، أو نقلت أليها أجزاء ملوثة من الآليات العسكرية للمتاجرة فيها دون معرفة مدى خطورتها.

وبشأن الإجراءات التي من الممكن أن تحد من خطورة هذه المواقع اشار وارتا نيان الى أن المعالجات التي من شأنها الحد من خطورة هذه المواقع ،ترتكز على عملية التخلص من هذه المواد الملوثة ونقلها إلى خارج حدود مدينة البصرة، موضحا كما أن المعالجة تتم من خلال تحديد مكان خاص لجمع الآليات الملوثة شريطة أن تراعى مسافة البعد عن المناطق الأهلة بالسكان وطرق المواصلات والمعامل والمنشآت الصناعية ،وجيولوجية هذا المكان والابتعاد عن المناطق الجوفية.

وتشير الإحصاءات الرسمية إلى أن عدد الأهداف المدرعة المدمرة للجيش العراقي عام ١٩٩١ كان ٣٧٠٠ هدف ،تم تدمير ١٤٠٠ منها بقذائف اليورانيوم المنضب. وأعيد استعمالها مرة أخرى أثناء عام ٢٠٠٣ ،وتشير مصادر عسكرية علمية الى أن ما استعمل على محافظة البصرة من أسلحة اليورانيوم في هذه العمليات من قوات البريطانية فقط هو ١٠٩ أطنان ولكن تقديرات أخرى تشير إلى أنه يقارب إل ١٠٠ طن

وتؤكد ذات المصادر أن ما استعمل على العراق من قذائف واطلاقات اليورانيوم المنضب في عام ١٩٩١ وخلال ستة أسابيع قارب ٩٤٠٠٠٠ أطلاقة عيار ٣٠ ملم و١٤٠٠٠ قذيفة مدفع ودبابة من مختلف العيارات ، وهو ما يقارب ٣٠٠ طن.

ثلاثة آلاف إصابة في البصرة

هذا وأعلن عضو اللجنة الصحية في مجلس محافظة البصرة ،أن المحافظة تحتاج إلى ١٠ مليارات دولار لمعالجة مرضى السرطان في المحافظة. وقال منصور أمين في تصريحات صحفية سابقة: أن المحافظة تحتاج إلى ١٠ مليارات الدولار لمعالجة مرضى السرطان لان المحافظة تحتوي على ثلاثة آلاف إصابة سرطانية وكل إصابة تحتاج إلى جرعة دوائية بقيمة ٢٥٠٠ دولار يوميا،فضلا عن انتشار الأمراض الوبائية في المحافظة بسبب تربية الحيوانات داخل مركز المحافظة من قبل المتجاوزين الذين يمثلون ٤٠٪ من سكان البصرة. وأضاف أن البصرة تحتوي على ٣ الاف إصابة سرطانية والكثير من أمراض الدم والتشوهات الخلقية بسبب الحروب والمواد المسرطنة المشعة من المخلفات الحربية التي لاتزال تشكل خطرا كبيرا على المحافظة تزامنا مع قلة التخصصات المالية للجانب الصحي وعدم الاهتمام به. وبيّن أن المحافظة لم تبن فيها منذ عام ١٩٨٤ أي مستشفى حكومي باستثناء مستشفى السرطان الوحيد والذي أنجز بتبرعات الدول المانحة بنسبة ٨٠٪ إلى هذا اليوم وهي من تقوم بتوفير العلاج له.وأكد أنه على الحكومة الاتحادية في بغداد الاستغناء عن هذا التبرعات وعدم وضعها في حساباتها السنوية والاعتماد على ثروتها الطبيعية المتمثلة بالنفط والحدود وغيرها باعتبار العراق أغنى من البلدان المتبرعة.

وتشهد محافظة البصرة ارتفاعا كبيرا في معدلات الإصابة بمرض السرطان، في ظل عدم توفر العلاجات في المستشفيات العامة وافتقار المحافظة لمراكز طبية لمعالجة المرضى.

وأوضح رئيس مجلس المحافظة جبار أمين جابر أن زيادة عدد الإصابات تأتي لكثرة مخلفات الحروب والمنشآت النفطية، فضلا عن شحة المياه وتلوث المتوفر منها.

ولفت جابر في تصريحات صحفية إلى عزم المجلس إنشاء مركزين لتقديم الخدمات الطبية إلى المصابين بالسرطان عن طريق الجرعات الكيمياوية والإشعاعات، نظرا لافتقار المحافظة إلى هذا النوع من المراكز.

وأكد جابر نية المجلس تنفيذ حملة تقضي بتقديم مساعدات مالية إلى المصابين بالسرطان لتمكينهم من شراء العلاجات نظراً لشحتها في المستشفيات العامة وارتفاع أسعارها في الصيدليات والمذاخر الأهلية.

يشار إلى أن محافظة البصرة شهدت في الآونة الأخيرة انعقاد سلسلة من المؤتمرات والندوات التي تمحورت حول أسباب ارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان، وقد عقدت في ظل امتناع المؤسسات الصحية كشف أعداد المصابين بالمرض بشكل دقيق.

الأرقام والإحصائيات عن أعداد العراقيين المصابين بالسرطانات والأورام الخبيثة أو المهددين بالإصابة بها من محافظات ومناطق عديدة هي أرقام كبيرة وهائلة، ناهيك عن أعداد الأطفال الذين يولدون بتشوهات خلقية مميتة ومعيقة ؛ الدكتور عمر الكبيسي يؤكد ذلك بقوله: تشير نتائج الدراسات الإحصائية والمسحية المتوفرة التي تجرى بإمكانيات محدودة خارج نطاق إمكانيات السلطة وبمساعدة مراكز خيرية خارج العراق الى زيادة في أعداد المصابين تفوق المتوقع بأضعاف عما كانت عليه قبل حربي الخليج الأولى والثانية كذلك مقارنة بواقعها في الدول المجاورة.

العلاقة بين زيادة هذه الإصابات وبين مستويات التلوث الإشعاعي والسمي البيئي في هذه الدراسات تعطي دلائل وثيقة الصلة باستخدام اليورانيوم المنضب في الأسلحة التي استخدمت في هذه المناطق مع أن الحاجة لإجراء الدراسات الواسعة والموثقة والمسوحات البيئية ومعدلات الإشعاع والتلوث السمي والتي لا تسمح الظروف القائمة إجراءها ، تبقى مطلوبة ومهمة كأهمية تصريح قيادات الجيوش المشاركة في الحروب عن كمية ونوعية ومناطق وتواريخ استخدامها لهذه الأسلحة والتي مازالت تتحفظ هذه القيادات عن التصريح بها.

وفي نفس السياق كشف مصدر مطلع في وزارة الصحة العراقية عن معلومات تفيد بوجود (١٧٠) ألف حالة مصابة بالسرطان بين العراقيين، وأشار المصدر إلى أن هناك إحصائية تؤكد أن عدد العراقيين الذكور المصابين بالسرطان بلغ (١١١) ألفا فيما بلغ عدد النساء المصابات (٥٨)ألفا، واصفا هذه الأرقام بأنها مخيفة ومقلقة ودعا المصدر الحكومة و الأجهزة الصحية إلى إعلان أسباب ارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان.

وفي سياق متصل كشفت صحيفة (التايمز) البريطانية عن تزايد عدد المصابين بسرطان الدم في العراق إلى ثلاث مرات خلال ١٥ عاماً،وان الأسلحة الأمريكية المستخدمة في الحرب الاخيرة بالعراق كانت تتضمن مواد اليورانيوم والبلوتونيوم والجمرة الخبيثة و المواد القاتلة التي تدخل في إطار الأسلحة الكيماوية والبيولوجية بفعاليتها الكبيرة في التدمير والقتل.

بالمقابل اشارت الصحيفة الى ان إصابة الأطفال بلوكيميا الدم في جنوب العراق تضاعفت ثلاث مرات خلال الخمسة عشر عاما الماضية، الأمر الذي أدى و يؤدي إلى كارثة صحية لسكان العراق للسنوات القادمة بسبب نقص الأدوية الحديثة وقلة الأطباء الأخصائيين في العراق ، فحتى نهاية ٢٠٠٧ كان أكثر من ١٥٠٠ عدد المصابين من الاطفال بالوكيميا الدم عند سكان العراق نتيجة الأضرار الناجمة عن التسمم الكيميائي بالمعادن الثقيلة، والكادميوم، واليورانيوم يؤدي إلى الضرر الحاد في الصحة و يصل إلى الكبد والكلى عبر مجرى الدم. والتسمم المزمن باليورانيوم يسبب نقص المناعة المكتسبة و السرطان و خاصة سرطان الدم. كما يتسبب اليورانيوم المنضب بالضرر الوراثي. وهذا يؤدي إلى تراكم حالات الإجهاض،وبالتالي موت الجنين داخل الرحم و تشويه الجهاز الهضمي وبقية أعضاء جسم الجنين، و غالبا ما يكون الجنين غير قادر على البقاء على قيد الحياة.